الباب الثاني

في أقسام التربية

من حيث إن الغرض من التربية تخريج نساء ورجال صالحين ، تحلوا بالفضيلة وتخلوا عن الرذيلة يحبون لإخوانهم ما يحبون أنفسهم وجب أن نسعى في إنمائهم جسمًا وعقلًا وخلقًا فتعطى كل قوة من قواهم نصيبها من العناية والتربية الصحيحة الضروريتين للنماء التام الموصل للإنسان الكامل. ومن ثم يظهر أن وظيفة المربي تنحصر في:

(١) تكميل من يربيهم وهذا يشمل:

(أ) تربيهم تربية جسمية بها يبلغ الجسم كماله في النمو والقوة.

(ب) تربيتهم تربية عقلية بها ترهف قواه العقلية.

(٢) جعلهم صلحاء لا يريدون إلا الخير، ولا يفعلون إلا ما كان جديرًا بمن كملت أخلاقه.

وهذه الأنواع الثلاثة: وهي التربية الجسمية، والعقلية، والخلقية ضرورية لا ينبغي إغفال واحد منها. وكل مرب يقصر في القيام بواجب أحدها لا يكون قد أدى وظيفته على الوجه المرضي؛ فهو مسئول أمام الله والناس عن تربية النشء تربية يمتزج فيها الأقسام الثلاثة.

لقد نظر المربون في الأزمنة الوسطى إلى التربة الجسمية بعين الاحتقار

،وهذا نتيجة التعليم الديني فقد عد رجال الدين في ذلك الحين الجسم أناءً قذرًا إحتوى على درة ثمينة في الروح، وكان من الشائع لديهم تعذيب الجسم والتنكيل به لتخليص الروح. ولقد ظهر أثر هذه العقائد في مدارس القرون الوسطى، فكانت التربية من نصيب الدماغ فقط، أما العين واليد فكان حظهما الحرمان وأهملت التربية الجسمية إهمالًا مؤلمًا فلم يلتفت المعلمون إلى إرتباط العقل بالجسم ونسوا أن التربية الجسمية في الدعامة القوية التي تبنى عليها سعادة الطفل في هذه الحياة. والتي لولاها لما تفتحت قواه العقلية في أكمامها، وأن صحة الأجسام أكبر مساعد للمعلم على الوصول إلى ما يبتغي فضلوا عن سواء السبيل.

وقد رأى علماء التربية والمصلحون الآن أن جميع قوى الطفل يجب أن تربى، وأصبح الإعتقاد بفائدة تربية الجسم ومنزلتها في رقي الإنسان وكماله يجد له عددًا غير قليل من المعاضدين والأنصار. وقد قال بعض أساتذة التربية وإن تربية الجسم لاتقل شأنا عن باقي أنواع التربية، وقال غيره: «إن الإعتناء بالجسم وتربيته واجب فرضه الله علينا لا يقل عن واجب الإعتناء بالعقل وتهذيب النفس».

إن التربية الجسمية حق من حقوق كل فرد. وواجب من واجباته: فالمربون والمصلحون وأولو الأمر مسئولون عن تربية كل إمرئ فلا بد أن يعطي كل واحد الفرصة التامة لتنمية قواه الجسمية كما أنه واجب على كل فرد أن ينتهز كل فرصة لتقوية جسمه وتكميل نموه؛ فالعقل الحكيم في الجسم السليم. هذا إلى أنه قد ثبت الآن أن الصلة بين الجسم والنفس متينة؛ فصلاح الجسم له أثر عظيم في صلاح النفس وقوتها ونموها.

ولكن المعلمين سامحهم الله قد أغفلوا الجسم مرة واحدة فأصبح معتلًا وإختل توازن قواه وقصروا عنايتهم على تدريب العقل وحشو حوافظ الأطفال بمقدار من المعلومات كل يوم، ومتى فرغ الواحد منهم من هذا العمل، وما أسهله، ظن أنه قد أدى الواجب عليه وأرضى ضميره وخالقه. والله يشهد أنه لم يؤد مثقال ذرة من واجبه ولم يسع خطوة نحو تكوين تلميذه وإنماء قواه العقلية ودرس ما أودع فيه من المواهب والإستعداد لتعهدها بالتربية وتأهيل صاحبها للحياة الكاملة التي هي مرمى آمال كل مرب؛ فليست التربية مقصورة على أن يقول المدرس ويحفظ التلميذ.

إن التلاميذ يثابرون على الجلوس طول اليوم المدرسي والمعلم يغض طرفه عن ضرر ذلك، وقد يضطر التلاميذ للجلوس في مكان غير صحي لا يدخله الهواء، أو لا تراه الشمس. والمسئول عن كل ما يصيب هذا الطفل المسكين من الأضرار هم المدرسون والقوامون على المدارس فالمدرس الذي يهتم بواجبه ويسعى في تأديته على وجهه ليخرج من التبعة هو الذي يدرس جميع الشروط الصحية التي إذا توافرت في المدرسة تقوي جسوم الأطفال وتسلم من كل ما يضرها، ويجتهد في ملاحظتها، ويسعى في توافرها في حجرة الدراسة حتى تلائم حال الطفل الذي عهد إليه في أمر تربيته. هذا إلى أنه يجب عليه أن يدرس شيئًا من التشريح، ووظائف الأعضاء، وأصول علم النفس، والقواعد التي يكون بها نماء جسوم الأطفال ليكون على علم تام بما ينبغي عمله في تكوين الطفل.

ولهذا الغرض قد عينت وزارة المعارف العمومية أطباء للتفتيش في مدارسها حتى تكون دائمًا سائرة على طريقة تضمن توافر الشرائط

الصحية على قدر ما في الإستطاعة. فعاد ذلك بفائدة عظيمة وصحت أبدان الأطفال على الرغم من قصر الوقت الذي يصرفه الطبيب في المدرسة، وعدم إستيفاء بعض المدارس جميع الشروط الصحية، فلو إستكملت مباني المدارس الشروط الصحية، وسمح للأطباء بصرف الوقت الكافي بالمدرسة يفحصون التلاميذ ويراقبونهم ويشرفون على تنفيذ جميع قوانين الصحة لكانت الفائدة أعظم، ولإكتسب التلاميذ من وراء ذلك خيرًا كثيرًا. وبما أن وقت الأطباء لا يسمح لهم بالإقامة في المدرسة إلا مدة محدودة ينبغي أن يكون المعلم قادرًا على تمييز الأحوال المرضية عند ظهور أعراضها حتى يقوم بما يلزم من الإحتياطات وطرق الوقاية، وكثيرًا ما تحدث هذه الأمراض إذا دأب التلميذ على العمل العقلي وكلف من الواجبات المنزلية ما يدعوه لترك اللعب والراحة، فإذا لاحظ المعلم شيئًا من ذلك، أو أي أثر له أراح التلميذ من العمل، ومكنه من رياضة عقله، وإراحة بدنه، وتقوية دمه.

ملاءمة أحوال المدرسة وأعمالها للصحة

إن المعلم قادر على تغيير بعض الأمور الضارة بصحة تلاميذه فهو قادر أحيانًا على التأثير في أولي الأمر حتى يلجئهم إلى إستبدال ما يلائم التلاميذ من المقاعد الصحية ونحوها من الأثاث المدرسي بما لا يوافقهم، أو تغيير الكتب التي تضر بالعين لعيب في طبعها أو ورقها أو التي تضر بالصحة لتلوثها ببعض جراثيم الأمراض ونحو ذلك، كما أنه يستطيع أن يشرف على تهوية حجر الدراسة، فكثيرًا ما يكون سبب فساد هواء الحجرة إغلاق جميع النوافذ، فإن لم يكن من المستطاع فتح المنافذ أثناء

الدرس السبب من الأسباب فليتحقق أنها تفتح في الفترة التي بين الدروس وكذلك يمكنه مراقبة التلاميذ دائمًا عند الكتابة ونحوها؛ فإذا رأى مهم ما هو مخالف لقواعد الصحة وجه نظره إليه وكون عندهم كل ما يريد من العادات الصحية، وليجعل هذه العبارة المشهورة دائمًا نصب عينيه «الكتابة المعوجة خير من الظهور المقوسة».

مدة الدروس واختلاف أنواعها

إن الدروس الطويلة تملها أذهان التلاميذ وتمجها أنفسهم، ولا يقتصر ضررها على ذلك بل يتعداه إلى إنهاك قواه العقلية والجسمية. فالدروس الطويلة، وإتعاب قوى التلاميذ بها منشأ كثير من الأضرار البدنية، ومدعاة إلى إختلال النظام في كثير من الأحيان.

ومن المدهش أن المعلم قد يعاقب التلاميذ على سوء النظام مع أنه قد يكون هو المخطئ ولقد قال بعض المربين «إجعل درسك حيًا نيرًا مشوقًا مشجعًا للتلاميذ على إستعمال قواه العقلية؛ ودع النظام يحفظ نفسه».

هذا وكما يجب ألا تكون مدة الدروس طويلة كذلك يجب ألا تتوالى الدروس العقلية في جدول الدراسة فلا بد أن يتخللها دروس عملية حتى لا يكل الجسم أو العقل، كما ينبغي ألا يتعاقب درسان عمليان كالخط والرسم، وإلا كان ذلك سببًا في تعب الجسم وضرره.

موافقة موضوعات الدراسة للتلاميذ

كل الموضوعات التي تعلم التلاميذ يجب أن يكون ملائمة لقواهم

الجسمية فن المقرر في علم وظائف الأعضاء أن الأعصاب الغليظة تنمو قبل الدقيقة الكثيرة الأجزاء والتراكيب، فيجب على المدرس ألا يطالب التلاميذ بعمل تستعمل فيه هذه الأعصاب الدقيقة قبل تمرين الغليظة، فكل عمل يكلفه صغار التلاميذ ينبغي أن يكون كبيرًا فإذا كلفوا كتابة أو رسمًا وجب أن يكون كبير الحجم، وإذا كانوا مشاهدة شيء على السبورة وجب أن يكون كبيرًا أيضًا: ومن هذا

ترى خطأ العادة الشائعة وهي تعليم البنات في السادسة من عمرهن أشغال الإبرة الدقيقة؛ فتعليم صغير الأطفال يجب ألا يحتوي على أكثر من تعليمهم كيف يمشون ويثبون ويسيرون في صفوف منتظمة ويغنون ويتكلمون ويلعبون ونحو ذلك.

عوامل التربية الجسمية بالمدارس هي:

(١) الألعاب الحرة

(٢) الألعاب الرياضية الجمعية

(٣) التمرينات البدنية (الجمباز)

(٤) الأعمال اليدوية

(١) الألعاب الحرة

يراد بها الألعاب التي يقوم الاطفال بها مندفعين إليها بفطرتهم لا يحتاجون فيها إلى قائد أو مرشد فيقوم كل منهم بما تميل إليه نفسه من الألعاب.

قال الغزالى في كتاب الإحياء «وينبغي أن يؤذن له (الطفل) بعد الإنصراف من الكتاب أن يلعب لعبًا جميلًا يستريح إليه من تعب المكتب بحيث لايتعب في اللعب؛ فإن منع الصبي من اللعب وإرهاقه إلى التعليم دائمًا يميت قلبه؛ ويبطل ذكاءه؛ وينغص عليه العيشة حتى يطلب الحيلة في الخلاص منه رأسًا».

إن تربية المرء نفسه خير أنواع التربية؛ وهذا متوافر في الألعاب الحرة ففيها يرى البنون والبنات أنفسهم فيتعلمون ألعابهم بوساطة تجاربهم فليس معهم مرب ولا مرشد؛ أما إذا تدخل المربون في ألعابهم المرة فإنها تصبح متعبة قليلة الجدوى. ومن ثم كانت الألعاب الحرة أنفع من التمرينات البدنية فأن الأطفال يجيدون عمل ما يحبون؛ وكلهم يحب الألعاب الحرة وينفر من التمرينات الرياضية؛ ولذلك ينبغي أن يشجع البنون والبنات على ألعابهم بقدر ما في الإستطاعة فيخصص لها وقت مناسب كاف في رياض الأطفال؛ وفي المرحلة الأولى من المدارس الإبتدائية ويكون ذلك تحت إشرافه معلميهم وتسمى حينئذ بالألعاب المدرسية المنتظمة وهي تنمي قوة الأطفال الجسمية وتظهر طبائعهم وميولهم وغرائزهم التي هي أساس تكوين أخلاقهم

(٢) الألعاب الرياضية الجمعية

إن الألعاب الجمعية في المدرسة من أعظم عوامل التربية الجسمية وأحسن أنواع الرياضة فهي جذابة ومحبوبة لدى كل تلميذ، كما أنها تمرن جميع العضلات وتقوي كل جزء من أجزاء الجسم، وتكسبه خفة في الحركة

ونشاطًا، وترهف القوى العقلية، وتقوي العزيمة والإرادة وتقوي الإنتباه، وتعود ضبط النفس والإعتماد عليها، والإعتراف بغلبة الغير، وتبعث على الهمة، وتولد جميع الصفات الضرورية لإعداد المرء لمواقف الرجال، وفيها يتعلم التلميذ أن تقوية جسمه لا تفيد إلا إذا إنضمت إلى قوى إخوانه الذين يشاركونه في اللعب كما في كرة القدم مثلًا فإن كل تلميذ يساعد زميله ويلعب بالإشتراك معه ، وبذلك يتعلم أن يجعل رغبته الذاتية تابعة لرغبة المجموع ويدرك أن الغاية لا تنال إلا إذا ضحى برغباته الذاتية وخضع تمام الخضوع لرغبات المجموع وسعى في تنفيذها. كما أنه يفهم معنى الإخلاص الصادق لإخوانه ومدرسته وضرر الأثرة وحب النفس. أضف إلى ذلك ما يتكون فيه من قوة العزم والرغبة في إصلاح حاله إذا آنس من نفسه ضعفًا يضر بفريقه فمتى أدرك ضعفه وعلم أنه لا يجلب الضرر له فقط بل يشمل كل الفريق اهتم غاية الإهتمام بإصلاح نفسه وتحسين حاله وتقوية ما ضعف منه وهذا أساس متين يبنى عليه تكوين أخلاقه ويعده لمعترك الحياة. ولقد دلت التجارب على أن الأطفال الذين سبقوا في الألعاب الرياضية أثناء حياتهم المدرسية كانوا من أقدر الرجال في الحياة العملية.

(٣) التمرينات البدنية

هي من عوامل تربية الجسم؛ وتحتاج الى معلمين مخصوصين؛ والغرض منها تقوية الجسم وبلوغه غايته الطبيعية في النمو حتى يتأتى تكوين المادات التي بها يسهل على المرء القيام بأي عمل. وإعداد القوى العقلية لضبط الجسم وذلك يكون بتمرين المجموع العصبي وتربيته.

ونتائج التمرينات البدنية في زيادة وزن البدن وإرتفاع القامة في مرحلة المرونة. وكما أنها تقوي أجسام التلاميذ فهى تكون فيهم عادة الطاعة، وقوة الإرادة، والعمل، والمثابرة، والتعاون وبذلك يتسنى للإنسان أن يقوم بأعمال جليلة من غير أن يجهد نفسه.

ومن ثم وجب أن يخصص لها وقت معين في أدوار التعليم. وأحسن مرحلة لها هو دور التعليمين الثانوي والعالي. أما في المدارس الأولية والإبتدائية فينبغي أن يقتصر على قدر سهل لا يحمل الاطفال فوق ما يطيقون.

(٤) الأعمال اليدوية

إن في الأعمال اليدوية كالخط والرسم وعمل النماذج وأشغال الورق والإبرة والحياكة والنجارة ونحوها تمرينًا للأعصاب التي تحمل الرسائل من المخ، وتنمية لها تقوية العضلات؛ كما أنها تكون في الطفل عادة الدقة في العمل والأمانة والصبر.. هذا إلى أنها تنويع مطلوب في الاعمال المدرسية؛ وتغيير من أعمال عقلية إلى حركة جسمية؛ فلا بد من إدراجها ضمن المواد التي تدرس بالمدارس الإبتدائية ، والخلاصة أن الغرض من التربية الجسمية هو:-

(١) جعل النشء ذوي عزيمة صادقة، وإرادة صارمة، وتنمية قواه البدنية، وتعويدها تأدية ما يطلب منهم من الأعمال في حياتهم العملية من غير إجهاد قواه العقلية إجهادًا غير ضروري.

(٢) أن يرسخ في أذهانهم إجلال أنفسهم وإحترام الجسم الذي هو شديد

الإرتباط بذلك الكائن الطاهر إحترامًا يمنعهم من تدنيسه بقبيح الأفعال.

إذا وجد من ينكر فائدة التربية الجسمية؛ أو من يهمل التربية الخلقية لا يوجد من ينكر أن التربية العقلية من ضروريات العمل المدرسي. فمعظم الناس مجمعون على أن أعظم وظائف المدرسة هي تربية القوى العقلية.

ومع أننا قد رأينا أن أنواع التربية الثلاثة ضرورية ، وأنه يجب على المدرسة العناية بها على السواء. لا يسعنا أن ننكر أن معظم الزمن الدراسي يجب أن يخصص للتربية العقلية. ومع أنه يجب ألا تغفل المدرسة التربية الخلفية فكثير من الفضائل لا يغرس إلا عرضًا أثناء التربية العقلية، وهذا هو الذي سوغ لنا تخصيص معظم وقت المدرسة للتربية العقلية. وقد تكون عوامل التربية الجسمية من العوامل الضرورية للتربية العقلية؛ فالطفل الخامل إذا ترك متوانيًا في عمله لا يكون له شأن في المستقبل؛ ولكنه إذا وضع في بيئة مملوءة بالألعاب الجذابة ونحوها كثرت حركته وإكتسب نشاطًا؛ وتغير خلقه؛ وأصبح من الرجال العاملين؛ ففي كثير من الأحوال يصحب التغير في القوى البدنية. تغير في الأخلاق ناشئ عن تحسين ونمو في القوى العقلية قد رسخ في المخ. وفي أجزاء المجموع العصبي. ومن هنا يظهر أن حركات الجسم ليست مرآة للأخلاق فقط ولكنها مما يساعد كثيرًا على تكوينها.

واجب المدرس

أن وظيفة المعلم أن يدرس مواهب الطفل وأن يتعدها بكل ما يسبب

نموها. وأن يختار لها من الغذاء ما يلائمها. وذلك بتلقينه الحقائق المناسبة لسنه وبيئته. وهذه الحقائق يجب أن تكون وسيلة لإيقاظ القوى العقلية وتغذيتها حتى تنهض وتنمو ، فعلى المعلم أن تختار من العلوم :

(١) أنفعها للتلميذ. كالقراءة والكتابة والحساب لأنها من وسائل كسب المعلومات ولأنها مفيدة في حياته العملية المستقبلة.

(٢) العلوم التي تساعد على تمرين القوى العقلية وإرهافها.

(٣) العلوم التي تربي الوجدان وحب الجمال كالموسيقى والشعر والرسم والتصوير.

وليعلم المدرس أن الغرض الاصلي من التربية العقلية هو تقوية القوى العقلية وإرهافها بما يلقي من العلوم لا تحصيل العلوم فقط ، فالمعلومات التي لا تستعمل لإنماء العقل ضرورها أكبر من نفعها لأنا نضيع زمنًا في تحصيلها كان من الممكن إنفاقه في تحصيل شيء مفيد ، وهناك أغراض أخرى يجب على المدرس أن يضعها نصب عينيه وهي:

(١) غرس عادة التعلم

(٢) تكوين قوة التحصيل

(٣) تدريب قوة الملاحظة

(٤) تربية قوة الإستنباط.

أما عادة التعلم فإن المدارس مقصرة في تكوينها: فجل عناية المعلم أن يعلم لا أن يغرس عادة التعلم؛ ولا يقال إن المدرس قد أدى وظيفته؛

إلا اذا أوجد في نفوس النشء شوقًا زائدًا للعلم ورغبة في طلبه؛ وأوقد في أفئدتهم نارًا لا يطفئها إلا تحصيل العلم؛ ولقد قال بعض المربين «إذا لم تقتل المدرسة روح حب التعلم عند التلميذ فهذا حسن: وإذا لم تجعل التلاميذ معجبًا بعلمه فهذا أحسن؛ وإذا نجحت في إيقاد نار متأججة في نفسه لا تطفأ إلا بالعلم فهذا أحسن الكل؛ ولها حينئذ أن تفتخر بأنها قامت بأشرف الأعمال وأعظمها» ومن ثم يظهر أن أعظم شيء تقوم به المدرسة هو تكوين عادة التعلم ،وهذا يتأتى بجعل التعليم في المدرسة مشوقًا سارًا يتلذذ منه الأطفال ويحبب إليهم العلم ويدعوهم لطلبه من غير معلم عند ما تسنح لواحد منهم الفرصة حتى إذا غادر المدرسة إندفع بحكم العادة الى القراءة وطلب العلم وعكف إلى حجرة مذاكرته بدل التردد على محال اللهو واللعب.

وأما قوة التحصيل فمفيدة جدًا ،لأن كل جزء من المعلومات يحصله التلميذ بنفسه وكل مسألة يحلها بأجهاد قريحته تثبت في نفسه وترسخ في ذهنه من أجل ذلك وجب أن ترمي المدرسة إلى تنمية هذه القوة في التلاميذ وتشجيعهم على العمل بأنفسهم؛ وذلك يكون بما يلي:

(١) أن يشرك المعلم تلاميذه معه في كل عمل يعمله في أثناء الدرس فلا يسمح لهم بالجلوس ومجرد الإصغاء.

(٢) أن يختار المواد التي بما لها من الصلاة والإرتباط بتجارب التلاميذ تستميلهم وتجذب قلوبهم وتوقظ راقد شوقهم وتزيدهم حرصًا على الإستزادة من المعلومات فيضطر الواحد منهم إلى أن يسعى بنفسه

وراء البحث عما يطفئ غلة الوقوف على الحقيقة التي أوجدتها المدرسة في صدره.

هذا وإن لم تتكون هذه العادة عند التأميذ مدة حياته المدرسية قل أن تتكون يعد مبارحته المدرسة. ومن الوسائل التي تساعد على تكوينها في الطفل أيضًا تشجيعه على إستعمال وسائل التعليم وهي القراءة والكتابة فيكلف تحصيل شيء من الكتب تحت إرشاد المعلم وقيادته كما أنه يرشد إلى تدوين كل ما يخطر له من الأفكار وما تمر به من التجارب.

وأما قوة الملاحظة فإستعمالها مهمل في جميع مدارسنا ، فيجب على كل مدرسة أن تعنى بتربية قوة الملاحظة الصادقة، ومما يساعد على تكوينها دروس الأشياء غير أن هذه كانت تعلم بطريقة آلية مملة ليس لإستعمال الحواس فيها مجال فلم تعمل شيئا نحو تكون عادة الملاحظة. على أن المدرس الماهر يستطيع تكوينها بتشجيع التلاميذ على دراسة الطبيعة حولهم وحثهم على تدوين ملاحظاتهم عن الجو وما حولهم من الطيور وعلى جمع أنواع النبات والأزهار والصخور ونحوها. ويكافأ المجتهد بعرض نماذجه في متحف المدرسة بعد كتابة إسمه عليها أو نحو ذلك.

وأما قوة الإستنباط فيساعد على تدريبها وتربيتها دروس العلوم والجغرافيا والتاريخ بدرس الأسباب ومسبباتها وما بينها من الصلات؛ فإذا درست هذه بالمدارس تدريسًا صحيحًا ساعدت كثيرًا على إنماء هذه القوة في نفوس التلاميذ.

التربية الخلقية

قد وصلنا الآن إلى الغرض الأسمى من التربية وهو تربية الخلق قال عليه الصلاة والسلام. «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» وإن أعظم الوسائل التربية الأخلاق بالمدرسة هي غرس الفضائل.

في التلاميذ عرضًا وكلما سنحت الفرصة وذلك يكون بما يأتي:-

(١) تعهد الميول الفطرية، والغرائز الطبيعية وتوجها إلى ما فيه خيرها وسعادتها.

(٢) إيجاد القوة الخلقية وتربيتها.

(٣) تكون العادات الصالحة.

وبذلك يصبح العمل الصالح والسلوك الحسن بالمدرسة عادة عند الأطفال ويصبحون ممن يثقل عليهم عمل الشر وإرتكاب الرذيلة وحينئذ يمكننا القول بأن المدرسة قد أدت واجها وقامت بعملها على الوجه المطلوب منها.

(١) تعهد الميول والغرائز

على المربي أن يدرس ميول الأطفال ويغذي كل غريزة من غرائزهم بحيث يصرفها في كل صالح مفيد. وأن يفتح لما كمن في الغرائز من قوة ونشاط بابًا تخرج منه يوصلها إلى الطريق المستقيم فتصرف إلى كل ما فيه الخير والسعادة، ويستعان على ذلك ما يصرف فيه الأطفال أوقات فراغهم من ألعاب وغيرها. ومما يساعد المربي على القيام بهذه المهمة مراقبته

الأطفال في ألعابهم ومجتمعاتهم حيث يظهر له ميولهم وأخلاقهم فيستطيع درسها وتوجيهها إلى ما فيه سعادتهم وإستعمال كل منها فيما خلق له.

(٢) القوة الخلقية

يراد بها ذلك الشعور الصادق أو تلك الروح الطاهرة التي بها يأتي الطفل أي عمل كان من طريق شريف مناسب وبعبارة أخرى هي القوة التي بها يضع المرء كل شيء في محله. وإيجاد تلك القوة يتوقف على البيئتين المنزلية والمدرسية؛ فمعلوم أن الطفل يحاكي من هم حوله فالوالد على غير علم منه تؤثر أخلاقه في تكوين أخلاق ولده وكذا الأمر في المعلم. وإذا نظرنا إلى المقياس الذي يبني عليه الطفل حكمه على الشيء بالحسن أو القبح نرى أنه في غالب الأحيان فعل شخص يرتبط به إرتباطًا وثيقًا كوالده ومعلميه فهو يعتقد أن ما يفعله أحد هؤلاء حسن، وما يجتنبه قبيح. ومن ثم كانت القوة الخلقية لا تنشأ إلا في منزل سمت فيه الأخلاق وتحت سيطرة مدرس صالح، وفي مدرسة أسست على دعائم الخير، إلا أن المدرس لا يؤثر في إيجادها وتربتها مباشرة. فالذي يقويها في الحقيقة هو ما يسمى بالروح المدرسية وهي ليست نتيجة عمل المدرس وتأثيره الأدبي فقط بل يضاف إلى ذلك عامل آخر هو الصلة بين تلاميذ المدرسة وتأثير بعضهم في بعض ولا يستطيع المدرس ضبط هذين، والسيطرة عليهما مباشرة، ولكنه يستطيع تعهدهما بإرشاده وقيادته بأن يخلط كبار التلاميذ الذين ربتهم المدرسة على الفضيلة فشبوا عليها ووثقت من أخلاقهم تمام الوثوق بصغارهم حتى تؤثر فيهم أخلاقهم. وأني ليحزنني أن أقول إن مدارسنا لم تفعل ما يجب عليها ولم تخط خطوة نحو إيجاد هذه الروح العامة فيها

وأسباب ذلك كثيرة منها

(٢) عدم وجود مجتمعات عامة تجمع كل تلاميذ المدرسة. وإذا وجدت المجتمعات كان الغرض منها إنفاق الوقت في هو وسرور ولم يلتفت فيها إلى الجانب الخلفي.

(٢) قصر الوقت الذي يصرفه المدرس مع تلاميذه وقصره على إلقاء المعلومات فلا يمكث معهم أكثر من ساعتين أو ثلاث كل يوم وربما تركهم في نهاية السنة ليشتغل مع غيره.

(٣) إن التلاميذ متى إنتهت مرحلتهم المدرسية إنقطعت بينهم الصلات فلا يقابل أحدهم أخاه إلا إتفاقًا. ومن هنا نرى أن تأسيس نوادى الألعاب الرياضية، ونوادي المتخرجين في أي مدرسة من أحسن الوسائط في إيجاد تلك الروح العامة التي يمكن أن تكون أساسًا لكثير من الفضائل والعزائم الصادقة.

العادات الحسنة

تنشأ العادات من الميول الفطرية والغرائز الطبيعية والأفعال الإرادية. وتتكون بالتكرار المستمر. عندئذ تأخذ في الرسوخ حتى تصير طبيعة وخلقًا. ومهمة المدرس في تكوينها عظيمة فهو بما يقوم به من المراقبة والإشراف يشجع التلاميذ على تكوين كل عادة حسنة ويصرفهم عن تكوين كل عادة قبيحة. وهذا العمل أهم كثيرًا من حشو رأس الطفل بمقدار من الحقائق العلمية. فتكوين العادات الصالحة هو الجدير بعناية المدرس واهتمامه فليطبع المدرس تلاميذه بأية وسيلة كانت على عادة

النظافة والنظام في كل الأعمال، والمثابرة على العمل والجد والإجتهاد، والشرف والأمانة والصدق في القول والعمل والمحافظة على المواعيد وغير ذلك من جليل الصفات، وليتبع في ذلك قول بعضهم «عود الأطفال قول الصدق لا بإخبارهم بمضار الكذب بل بأن تغرس في نفوسهم روح شرف النفس وصدق المقال وإنزع من قلوبهم القسوة بأن تبث في أفئدتهم شيئًا من عاطفة الرأفة التي في فؤادك» وبذلك يسهل على التلاميذ عمل كل شيء صالح.

ولما كان الغرض من تعليم الاطفال وكسبهم المهارة هو تمكينهم من إستعمال هذه المعلومات، وتلك المهارة في المستقبل كان من الضروري أن تغرس في الطفل عادة العمل وحب الشغل. غير أن مدارسنا اليوم تخرج لنا الألوف المؤلفة من التلاميذ والطلبة الذين يكرهون العمل ولا يهتمون إلا بالجلوس على القهوات متى فرغوا من عملهم. ولم تسع في إستمالة نفوسهم إلى حب العمل وهو مما يجب أن تعني به، فقد أصبحنا في حاجة شديدة إلى قوم ذوي أخلاق فاضلة ومبادئ سامية وأعمال شريفة يحبون العمل ويبغضون اللهو والكسل. والسبب في كراهة التلاميذ للعمل بعد مبارحة المدرسة. هو أنه يعطي من الأعمال ما لا يلائم ميوله وإستعداداته، وما لا يسره أو يشوقه فيعتبرها من شاق الأعمال وتكون عبئًا يثقل كاهله أثناء حياته المدرسية. فيعقد النية على عدم الرجوع إليها متى تخلص منها بعد خروجه من المدرسة. وبذلك تكون فيه عادة الكسل. وهذا شر ما تفعله المدرسة نحو تلاميذها فينبغي أن يغرس المدرس في الطفل حب العمل المدرسي حتى لا يسأمه ويكره العمل في جملته.

السلوك الحسن والعمل الصالح

تتمثل الغاية العملية من التربية في المدرسة في التحلي بالفضيلة والسلوك الحسن وعمل الصالحات وذلك نتيجة:

(١) العلم

(٢) القوة الخلقية

وهي لا تقع تحت سيطرة المدرس مباشرة أما العمل الصالح الناتج من العلم فهو خاضع لقيادة المعلم وتأثيره وسلطته مباشرة فكلها لها الأثر في نشأة العمل الصالح ونمائه لأن أمر إختيار المواد التي يؤسس عليها العمل الصالح وطرق تدريسها موكول اليه.

القيمة الخلقية للعلوم

كل من يضع منهاج مدرسة يجب أن يسأل نفسه هذين السؤالين وهما: ما العلوم التي تساعد على تكوين الأخلاق؟ وكيف يمكن إستخدامها في تكوين الأخلاق وتقويمها؛ حتى يكون للسير على المنهاج الذي يضعه فائدة في تهذيب الآداب والأخلاق وحتى يتم له تكوين الأخلاق بتدريس مواد العلوم المختلفة فبتزويد الطفل من المعلومات يجب أن تكون أخلاقة ولهذه الغاية يجب أن تستخدم كل المعلومات ويبذل كل ما في وسع المدرسة من قوة وما لها من حول. فبث المعلومات وتكون عادة التعليم وحب التحصيل وتهذيب الغرائز وحب الوطن والإهتمام بالألعاب الجمعية في المدرسة وحب الكتب والعمل؛ كل هذه يجب أن تتحد في المقصد وترمي إلى تكوين الأخلاق الطاهرة الشريفة والإدارة القوية الصادقة.. كما أن

جميع العلوم يجب أن يستعان بها على ذلك فينبغي أن يكون الغرض من الألعاب المدرسية المساعدة على تكوين الأخلاق فجميع الدروس وكل الألعاب يجب أن تشترك ويؤدي كل نصيبه نحو تحقيق الغرض الأصلي من التربية، وكل المدرسة مصبوغة بصبغة خلقية طاهرة. فالتربية الخلقية لا يمكن حصرها في قسم مستقل من العلوم. ولا في عمل معين من أعمال المدرسة.

القدوة الصالحة ووجوب مطابقتها للمواعظ الحسنة

إن القدوة الحسنة من أهم العوامل في تكوين أخلاق التلاميذ فالطفل يحاكي كل من له به علاقة وصلة كما تقدم. ولذلك يجب أن تطابق أفعال المعلم جميع ما يعظ به تلاميذه. لأن الطفل سريع الملاحظة لمخالفة القدوة للنصيحة وكل عمل يعمله المعلم يطبقه الطفل على النصائح التي يلقيها عليه ، وليعلم المعلم أن أفعاله تتسرب إلى التلميذ ويكون أثرها فيه أقوى من أقواله، ومن النصائح التي يعثر عليها في كتب التاريخ والأدبيات ونحوها، فإذا أراد المدرس أن يخرج رجالًا كاملي الأخلاق فليكن هو نفسه كامل الأخلاق.

هذا وقبل أن نترك هذا الموضوع يجب أن نشير إلى سؤال إشتد فيه الخصام والجدال وهو «هل تغرس الفضيلة بالتلقين»؟

قد ذهب قوم إلى أن الفضيلة لا تغرس بالتلقين. وكانت نتيجة ذلك عدم إدخال على تهذيب الأخلاق في منهاج الدراسة. وقال غيرهم «إن العلم بالفضيلة وسيلة من وسائل غرسها في النفوس، ولذلك قالوا بتدريس

تهذيب الأخلاق والعناية به ، واحتج الأولون بما يأتي:

(١) لو كان العلم بالفضيلة يضمن تهذيب النفوس لكان عالمنا اليوم عالم نزاهة وسعادة. ولكنا في صف الملائكة الطاهرين لكثرة ما سمعناه من الحكم والمواعظ وأنواع النصائح المختلفة.

(٢) إن الكلام في الرذيلة أمام الأطفال ضار مهما حاول المعلم تشويها في أنظارهم لأنه قد يكون بمثابة تذكرة لهم بما كانوا عنه غافلين (والطفل مولع بعمل ما يخطر بباله).

(٣) إن كثرة الحث والإرشاد يسأمها التلاميذ فينزعون إلى الإنتقام من الدرس والمدرس فلا يرون أمامهم وسيلة إلا فعل ما نهاهم عنه وترك ما أمرهم به.

(٤) إن كثرة الكلام في الفضيلة قد تدعو التلاميذ إلى التخلق بأخلاق المرائين الذين يكثرون من الكلام في الدين والفضيلة ويقولون ما لا يفعلون

(٥) إن كثرة التكرار تقتل الشعور فإذا سمع الطفل حثًا على عمل الخير حن إليه أولًا وإتجه نحوه بشعور شديد فإذا ما سمع الحث عليه مرات قل شعوره الأول حتى ينتهي الأمر بأنه يسمعه فلا تهز له عاطفة ولا يلين له قلب:

ومما احتج به الفريق الثاني ما يأتي:

(١) إن الجرائم ومخالفة القوانين تقع من أحد رجلين رجل أقدم على الإثم عامدًا ورجل صدرت عنه الخطيئة لجهله بأنها رذيلة ،فالكلام في الأخلاق وشرح الفضيلة يفيد هذا الثاني.

(٢) من المقرر في علم النفس أن الأفكار أمهات الأعمال؛ فيجب أن تملأ عقول النشء بأفكار عن الفضيلة لتدفعهم إلى الأعمال الفاضلة.

والرأي عندي أن الكلام في الفضيلة لا يحسن إلا بعد حدوث الذنب مباشرة ،فيحسن بالمعلم حينئذ أن يحاور تلميذه بطريقة جذابة مملوءة بالعواطف في وبال فعلته التي فعل ويبين له أن شرفه وشرف أسرته وشرف المدرسة التي ينتسب إليها ينكر عليه هذا الفعل.

هذه هي الحال التي يحسن فيها الكلام في الأخلاق. أما العمل فهو خير سبيل لتكوين الأخلاق كما سبق